

# حول تجديد الفكر الوجدوي العربي

## فندي بالحاج

(١)

بغياى عبد الناصر ضمى الفكر القومى وانحسر العمل القومى وعاشت الأمة العربية منذ ١٩٧٠ على نعم واحد ووتيرة واحدة وهى النعمة القطرية، وفى خضم حراك السياسى تمثل بسيطرة مطلقة للقوى الاقليمية على اجهزة الحكم وقبضة حديدية فى مواجهة دعوة الوحدة العربية فظهرت قوى سياسية وتيارات فكرية جديدة تشكلت أكثريتها بطلب من السلطان وبدوائر مشبوهة.. وانصبت دعواتهم فى ضرب مكونات الأمة العربية الثقافية والفكرية. كانت الأربعة عقود كافية لهذه القوى ان تثبت اهليتها وجدارتها فى مواجهة الواقع وهى التى ارادت وعملت على اقضاء القوى الوجدوية العربية من دفعة قيادة السلطة او من ساحة الفعل السياسى والقت بها فى غياهب السجون.. ان وضع الأمة وما انتهت اليه بعض الأقطار الغنية منها دليلا لا يستحق الشك فى فشل الدعوة القطرية، وعجز القوى الاقليمية عن تحقيق التقدم. ان عملية انحسار الفكر والعمل القوميين لم تكن عملية ارادية وعزوف جماهيرى كما تسعى بعض القوى تصويره ، بل كان نتاج حالة طبيعية تمثلت فى السيطرة المطلقة للقوى الاستبدادية. ان غياب الحريات حال دون تطور ونمو العمل والفكر القومى . ان الاستبداد السياسى والدكتاتورية كظاهرة مرتبطة بالأنظمة التقيتية والتجزئية اخذت من البديل القومى عدوها الأساسى. فاستعملت كل ما اوتيت من امكانيات لتعيق معاودة ظهوره، وكانت فى كل مرة تسنح الفرصة أمام القوى القومية للمسك بدفة الواقع الا وتتحالف قوى عديدة من اليمين الى اليسار ضده.

الذى يعيننا هنا ان طيلة هذه الفترة الزمنية مافتئ الوجدويين العرب ينبهون الى السد الذى تقود اليه السياسات القطرية والى المستقبل الذى انتهى اليه العرب تحت قيادة هذه القوى. ويعملون على الخروج من هذا الحصار المجحف باستجماع قواهم للكر. الا أن هذه المحاولات ماتزال بطيئة، فبالرغم من الاضافات والاجتهادات المهمة فان الفكر الوجدوي العربى مطالب

بتجديد خطابه بما يتماشى مع المرحلة الجديدة، وتطوير اساليب عمله بالاعتماد على وسائل العلم الحديث في مواجهة الواقع.

قبل التطرق الى موضوع مظاهر التجديد في الفكر القومي والقاء نظرة تقييمية نقدية لهذا الفكر واسلوب تعامله مع الواقع اي مدى مقدرته على تجديد ذاته لا بد من توضيح بعض المسائل المثيرة للجدل وإزاحة بعض الغموض حتى نفرق بين ضرورة التجديد والتقييم حرصا على تحقيق النصر المطلوب وبين العديد من الدعوات المعلقة تحت شعارات التجديد والتحديث وهي تريد التسليم بالأمر الواقع، وقبول الهزيمة اي التفريط في الشعارات القومية والأهداف القومية تحت دعاوي الواقعية تارة والعلمية تارة اخرى. وهي نقطة اساسية لا بد من التركيز عليها عند تناول هذا الموضوع حتى لا نقع في محاذير سوء الفهم وخطأ التأويل، ومن ثم في إثارة البلبلة بما يربك الأفكار ويشوش الرؤى والقناعات والخيارات. وقد تساءل على حق المفكر القومي عوني فرسخ على البواعث التي تدفع البعض في الاطناب عن ضرورة مراجعة الفكر القومي وتطويره. "...هل حقا إن الفكر القومي العربي جمد على مقولات نهاية ستينات القرن الماضي؟ وهل إن انحسار المد القومي يومذاك انعكس على المفكرين القوميين بحيث لم يعد لهم تأثير في الواقع العربي المعاصر؟ أم إن انتكاسة الحراك القومي، وما اعقبها من حملات نقد وتجريح قاسية للفكرة والعمل القومي العربي، شكلا تحديا للعديد من أولئك المفكرين فأقبلوا على عملية مراجعة جذرية أحدثت نقلة نوعية في الدعوة القومية العربية؟ وهل إن دعاة المراجعة والتجديد حريصون فعلا على استنهاض الحركة القومية، أم هم، بوعي منهم او لا وعي، يسهمون في اشاعة مشاعر اليأس والاحباط التي استغلتها، وما زالت، عناصر الردة المحلية وقوى الاستغلال والهيمنة الاقليمية والدولية؟..". ([1]).

انه لا يمكن فهم عملية تجديد اي فكر وتطوير الا داخل ثوابته، ومبادئه الأساسية. ان اية محاولة تسعى الى الانتقاص من قواعده الأساسية تتعارض مع عملية التطوير التي هي عملية اضافة الى وليس انتقاصا من. هنا لابد من التفريق بين فريقين من دعاة تطوير الفكر القومي:

الدعوة الأولى: دعوة من داخل الفكر الوحدوي العربي تسعى جاهدة الى الاضافة اليه ليتماشى مع مكتشفات العلم الحديث في كل مجالات الحياة. بحيث يضيف الى قواعده الفكرية بما

يتناسب مع متطلبات الحياة المتجددة باستمرار. وتعديل اساليب العمل السابقة من خلال تجاوز العديد من الممارسات التي اثبتت الممارسة انها تضر بالمبدأ والهدف القومي وهذه دعوة صادقة لا غبار فيها تهدف الى جعل الفكر الوجودي العربي اكثر اشعاعا واشد تأثيرا في واقع يشهد تكلسا على كل المستويات وعودة سريعة لكل ما ينافي العقل بل لكل ما يعاديه في الاجتماع والسياسة والثقافة..والدراسة المتأنية لتاريخ الفكر الوجودي العربي وتطوره عبر مدارس المختلفة ومناهجه المتعددة فانه قد تشكل عبر حلقات متطورة نامية شديدة الارتباط بالواقع وتعب عنه. وانه خلافا لما تروج له القوى المعادية فان هذا الفكر يشهد تنوعا وتطورا وارتباطا بأهم مكتشفات العلم الحديث لا نظير له مقارنة بتيارات الفكر العربي الأخرى اسلامية او يسارية او ليبرالية.

الدعوة الثانية: وهي دعوة مخاتلة تغلف أهدافها التصفوية بأحاديث ناعمة على التطوير والتحديث والتعصير أما الهدف الحقيقي فهو ضرب مبادئ الفكر الوجودي وتدميره، من خلال ربط الدعوة القومية بالدعوات النازية وربطها بالدعوات العنصرية والشوفينية. أو برفع نفس الشعارات وتحويلها الى شعارات فشل حتى يسهل ضربها والقضاء عليها.

وفي هذا السياق على الفكر الوجودي العربي دراسة تجربة علاقة هذا الفكر مع أنظمة الحكم استبدادية. حكمت باسمه ومارست كل ما يتعارض مع فكرة الوحدة العربية وساهمت بشكل كبير في ضرب وتشويه الفكر الوجودي. بل يمكن ان نقول ان توضيح هذه النقطة أساس أي عملية تجديد مستقبلية. هل فعلا حكم الفكر القومي كما تروج له بعض القوى المناهضة للقومية العربية؟ أم أن الذي حكم كان أسما قوميا وفعليا قبليا وطائفيا. هذه النقطة تستوجب فعلا اجتهادات واضافات جديدة القوميون وحدهم مسؤولون على الاجابة. لأنه في الغوغاء الفكرية والبلبله التي تحدثها القوى المعادية غابت البوصلة التي تحدد الوجودي من من ليس هو وجودي والتقدمي من من ليس هو تقدمي..ان الجماهير العربية تطالب اليوم القوميين بتوضيح هذه النقطة التي ماتزال غامضة. فتوضيح هذه الخط الفاصل بين البديل القومي وبين ادعاءات بعض من الأنظمة الاقليمية في الوطن العربي التي رفعت شعار العروبة ومارست ابشع انواع الاقليمية والطائفية رفعت شعار التقدمية ومارست ابشع انواع الاستبداد.

ان المناهضين للفكر القومي لا يهتمون بتطوير فكرة الوحدة العربية، بل اقتلاع فكرة الوحدة العربية من قلوب الملايين، و لا يهتمون بارساء الديمقراطية في الوطن العربي الا بالقدر الذي تؤديه الى الدعوات الطائفية والقبلية.

ان التحدي الجديد اما الحركة الوحدوية العربية بكل أجنحتها هي وضع حد لسياسة الهدم والتدمير التي تقودها القوى الانفصالية والطائفية لمقومات الأمة الثقافية والمادية، وايقاف مسلسل التشويه وقلب الحقائق التي تقوم بها بالتعاون مع الدوائر المشبوهة التي لا تريد للأمة العربية ان تنجز وحدتها السياسية.

في هذه المقاربة التي سنسعى فيها التطرق الى العديد من المفاهيم التي سادت في الفكر القومي العربي. ومدى ضرورة تطويرها او تجديدها او تجاوزها. ان هذه المقاربة النظرية للعديد من المفاهيم والمصطلحات داخل المدرسة القومية ستساعدنا على تقديم اجتهاد للأسئلة العديدة والكثيرة المطروحة امام الوحدويين العرب والمرتبطة اساسا بـ ( معوقات العمل الوحدوي العربي ) والتي مازال تنتظر الاجتهادات الجادة عسى تغطي هذا الهوة بين الخطاب الوحدوي العربي الذي ساد وبين الممارسة الاقليمية والطائفية التي تمكنت في الواقع..

لماذا فشلت الحركة القومية العربية في مواصلة ذلك الزخم الهائل الذي بدا في لحظة ما واعداد ومباشرا بكل فرص النجاح وتحقيق الآمال والأهداف؟

ماهي الثغرات التي تركتها الحركة القومية ونفذت منها القوى اللا قومية واخرقت البديل القومي وحوّلته الى بديل فشل. او كما قال عوني فرسخ سيطرة "الاقليمية الجديدة" قومية الشعارات وتقدميتها، انفصالية الممارسة ورجعيتها، كما برزت "الطبقة الجديدة" التي تشكلت من فاسدي المؤسسة العسكرية، ومستغلي القطاع العام والانتهازيين من الاكاديميين وحملة الاقلام،.. "[٢]" ؟

ماهي الثغرات القائلة التي جعلت القوى الاقليمية في عز سيادة الخطاب القومي العربي تتربع صدارة السلطة، والعناصر الطفيلية والمعادية تسيطر على اجهزة الدولة، في حين غاب المثقف القومي او ازيح من مكانه ليفسح المجال لبعض الانتهازيين والمناققين...؟

اجابات نحاول الكشف عنها من خلال العودة الى كتابات الوحدويين ... ٢٦ / ٥ / ٢٠٠٥

## هوامش القسم الأول

[١] هذه الدعوات لمراجعة الفكر القومي العربي ... عوني فرسخ المسيرة ٧ جويلية ٢٠٠٤

[٢] هذه الدعوات لمراجعة الفكر القومي العربي ... عوني فرسخ المسيرة ٧ جويلية ٢٠٠٤

(٢)

### عن مفهوم العروبة !!!

#### تقديم

"...ليس البحث العلمي عن الحقيقة مرانا ذهنيا مجردا ، بل نحن نبحث عن الحقيقة لأننا في حاجة اليها لنشق طريقنا في الحياة باكبر قدر من النجاح واقل قدر من العناء ، على ضوءها نعرف ظروفنا، وعلى ضوءها نعرف الطريق من الظروف الى الغايات. ومن هنا فقط يستمد عناء البحث العلمي عن الحقيقة مبرراته. .." ([١])

(١) بينا فيما قدمنا ان كتابات الفكر الوجودي العربي تتعرض لحملة تشويه، ناتجة عن احكام مسبقة تفتقد الى الأساس العلمي والمعرفي وتعتبر عن جهل تام بأهم الكتابات القومية والعروبية. فبالرغم من تمكن الفكرة العروبية من استقطاب جمع لا بأس به من ابناء الشعب العربي : جماهير عريضة وعدد لا بأس به من الكتاب و الباحثين والعاملين في حقل السياسة والاجتماع. وتحولت الى تيار سياسي فاعل وجارف وقادت حركة التحرر الوطني من قوى الهيمنة العالمية. فلم يتحرر الوطن العربي وشعوبه الا تحت راية القومية العربية، الا أن بعض التيارات السياسية وامام حالة النكوص العامة ماتزال تصر على ربط الحركة القومية العربية بافكار لا علاقة لها بجوهرها ومضمون رسالتها التحررية. فهذه التيارات المعادية تصر على ربط التيار العروبي وحركته القومية بالحركات القومية التي ظهرت في اوربا في مرحلة اتسمت فيها العلاقات الدولية بالعدوانية فتحولت العلاقة بين الأمم الى علاقات أسسها النهب و الهيمنة وتسخير الأمم الضعيفة لصالح الأقوياء. الا أن القومية العربية كانت ترفع

راية التحرر والاستقلال وتمكنت العروبة بجدارة من أن تعبر عن طموحات شعوب الأمة العربية سكان الأرض الممتدة من الخليج العربي الى المحيط الأطلسي ( الوطن العربي). واستطاعت و في فترة قياسية أن تحمل همومها وترفع راية حريتها واستقلالها وتستوعب طموحاتها للتحرر والانعقاد. واكتسبت هنا النزعة التحررية الانسانية بعيدا على النزعات العنصرية والشوفينية التي سادت في مجتمعات تتشقق بالتحضر والحرية وحقوق الانسان وهي في حقيقة الأمر تقوم باستعباد وبالسيطرة على شعوب وامم أخرى ونهب ممتلكاتها وتسخيرها لأهداف عنصرية لا انسانية.

بالرغم من هذا البعد الانساني التحرري الذي تميزت به الحركة القومية العربية فان البعض مازال يلصق بها التهم ويشوه المفاهيم التي حاولت وضعها وتقديمها على غير حقيقتها. فهي خلافا لما يروج فان الفكر القومي العربي لا يعطي مفهوما عرقيا للعروبة ولا بعدا عنصريا للعلاقات التي بين هذه المجموعة البشرية.

(٢) يصر البعض من ناقدتي العروبة على تخيل تصور للعروبة أي العروبة كما يتصورها، ثم ينسبه للقوميين عموما لتسهل عليه عملية نقدها وضربها. ان هذا الأسلوب الذي درج عليه البعض من النقاد السياسويين لا يتماشى مع المنهج العلمي في تحليل الظواهر والنقد. في هذا البحث المختصر حاولنا تتبع كتابات بعض رموز الفكر القومي الفكرية والسياسية لتناول تصورهم ومفهوم للعروبة اي للعلاقات القومية أي مدى انسجام ما ينسبه اليهم اعداء القومية العربية وفكرة العروبة وبين المفاهيم التي كتبوها ونشروها. ان بعض الحكام الاطلاقية تفقد الى الدليل العلمي فلا اختلاف أن "... كثيرا من الاصطلاحات بحاجة الى اعادة نظر وليس اعادة تعريف ذلك ان المفاهيم التي اعطيت لبعض الاصطلاحات قد اصطبغت بالايديولوجية السائدة، وبالأوضاع السياسية مثل اصطلاح العروبة والقومية، والعرب أكثر من غيرهم حملوا تلك الاصطلاحات ما لم تحتل. ان مفهوم العروبة بالاصل ينبغي ان يكون ثقافيا قائما على اللغة العربية والانتماء الى الأرض العربية، بيد ان المفهوم الذي ساد في مرحلة المد القومي العربي منذ الحرب العالمية الاولى حتى هزيمة العرب في يونيو/ حزيران ١٩٦٧ كان يؤسس على العنصر العربي "العرق والدم" وكانت الخطورة في ذلك هي اقضاء من تعربوا من الاجناس والشعوب الاخرى عن مفهوم العروبة، وبذلك اصبح مفهوما شيفونيا عنصريا.."

([٢]) . اذ نتفق تمام الاتفاق على ضرورة تعريف المصطلحات المستعملة فاننا نرى من المناسب العودة الى المصادر والمراجع فعندما نذكر مفهوما فمن ابجديات المنهج العلمي ذكر مصدره ومرجعة وكاتبه ذلك أن العمومية ونسب المفهوم الشوفيني العنصري للعلاقات القومية بالتيار القومي ظلما تاريخيا. وتعبيرا عن عدم المام بأهم الكتابات القومية. والنضج التي اتسمت به مقارنة مع الكتابات الغربية التي تؤكد على رابطة الدم.([٣]) لذلك ارتأينا العودة الى المصادر والمراجع التي تبنت أو رفعت راية العروبة، لتبين مضامينها. هل هناك نواقص في فكرة العروبة تتطلب التجديد والايضاح، أو ماهي النواقص في هذه الفكرة أي فكرة العروبة؟ وماهي طبيعة الاضافات التي يمكن أن تضمنها فكرة العروبة لاستيعاب كل مكونات الأمة؟. و التي أصبح من الضروري اعادة صياغتها صياغة جديدة حتى تؤدي الدور المطلوب.؟

(٣) ان التساؤلات الكبرى التي نطرحها الآن لفهم أسباب الفشل الذي نعيشه ستطال كل الأسس الفكرية والسياسية التي ارتكزت عليها الحقبة الفارطة..تطال التعريفات والمفاهيم التي اسندت الى بعض المصطلحات المفاتيح في حياتنا..وستطال الرجال والتنظيمات السياسية والفكرية التي ساهمت بشكل أو بآخر في هذا الفشل الذي نعيشه سلبا أو ايجابا..

وهو مما يساعدنا على تقديم مفهوم علمي واضح وصحيح للعروبة يكون مدخلا لتصحيح العلاقات الاجتماعية ومقدمة ضرورية لتبني رؤية تحديث وتطوير عربية جديدة تكون اطارا عاما لاختلافاتنا وتميزاتنا الايديولوجية والفكرية والسياسية، بهذه الرؤية الجامعة الموحدة تستطيع الأمة العربية استكمال دورها الحضاري.

لاشك ان التعاريف التي قدمت لمفهوم العروبة متعددة ومتنوعة. والعودة الى مصادرها تساعدنا على تحديد مواطن العجز والفشل .. فالأدب السياسي القومي العربي بكل مكوناته وتياراته قد لا يخلو من بعض التلميحات أو الاشارات الى النسب والعرق ورابطة الدم لكنها تلميحات قليلة وعادة ما يتبناها كتاب غير مؤثرين في بناء الفكر القومي وغير ذات تأثير في المجرى العام للفكر القومي العربي. ذلك أن الدراسة المتأنية لكتابات القوميين العرب على اختلاف توجهاتهم الناصرية وحزب البعث وحركة القوميين العرب تنعدم فيها التأكيد على العامل العنصري أو عامل الدم أو الجنس، ولئن وجدت بعض التلميحات هنا أو هناك فهي

غير ذات تأثير في المبادئ الأساسية للوحدويين العرب. وهي مرتبطة بمرحلة تاريخية معينة تم الربط فيها بين الانتماء القومي ورابطة الدم والعرق..ونعنقد أن هذه المرحلة قد تجاوزها الفكر الوحدوي العربي. وبعض هذه الدعوات كانت نسخا للحركات القومية في الغرب. اما مفهوم العروبة في مجمله بقي متعارضا مع المفاهيم العرقية ويعود ذلك الى ان العروبة لها مكونات الحضاري ألا وهو الاسلام . لقد شكل الاسلام ولا زال يشكل عامل حصانة ضد الانزلاق الى التعريفات والتفسيرات العنصرية والشوفينية. أو عملية ربط الانتماء العروبي بالدم فالفكر القومي منذ تأسس ارتكز على مبادئ انسانية تعترف بالواقع القومي كتميز عن الآخرين وليس كامتياز على الآخرين. وقد استطاع العرب عبر تاريخهم الطويل التعايش مع الحضارات والثقافات الأخرى وتمكنوا من تأسيس دول وحضارات مشتركة مع شعوب وأمم أخرى. قد لا يخلو تاريخنا القومي أمام شراسة هجمة قوى الهيمنة من دعوات الانطواء والانكفاء والتأكيد على التميز والاختلاف الا أن النزعة العنصرية الشوفينية لم تتحول الى تيارات فكرية أو سياسية كما هو الحال في بعض الأمم والمجتمعات الأخرى.. والفكر القومي العربي ابن هذه التربة الطيبة لم تحده النزعات العنصرية والشوفينية بل تطور ونما على اسس انسانية حضارية الى أن اشتد عوده وتوضحت أسسه الفلسفية والمعرفية مع كتابات واجتهادات كتاب أمثال عبد الله الريماوي ونديم بيطار وعصمت سيف الدولة.... قد نجده تجزيئي مكتفيا بالدعوة العاطفية لدى بعض الكتاب وأحيانا متأثرا بتأثير التيارات الوافدة من ليبرالية و ميثافيزيقة قدرية ومثالية ولكنه بقي مطهراً من كل نزعة شوفينية عنصرية. وأخذت القومية بعداً معرفياً جديداً يرتكز على الأبعاد الاجتماعية والثقافية والسياسية. جل الكتابات تؤكد على المفهوم الاجتماعي والثقافي: اللغة الثقافة التاريخ الأرض والمصالح المشتركة. وحتى الممارسة السياسية الاستبدادية التي اتبعتها البعض باسم القومية ( وان كانت مارست القطرية في ابشع مظاهرها) فانها لم تستند على التعريف العرقي. لقد مورس البعض منهم الاستبداد والدكتاتورية ولم يسلم منهم العرب وغير العرب. كما أن الأقلية الحاكمة المستأثرة بخيرات الشعب كانت أيضاً من العرب وغير العرب. كانت تعبيراً عن أنظمة غارقة في الاستبداد ولم تكن تعبر عن حركة سياسية قومية عربية، تتبنى سياسة التطهير العرقي .

(٤) ان الفكر القومي العربي بكل مدارسه وتجلياتها الفكرية والسياسية المعاصرة، و خاصة الانتاج الذي صاحب التجربة الناصرية وتلاها، أي ما بعد ١٩٥٢ لا يتبنى مفهوما عرقيا للعروبة ولا بعدا عنصريا للعلاقات التي بين هذه المجموعة البشرية ( العرب). فاذا عدنا الى ابو خلدون ساطع الحصري وهو اب كل المدارس القومية يؤكد على رفض المفهوم العنصري وعلى استبعاد مفهوم الدم في العلاقات الاجتماعية، وهو في هذا المجال يقطع ويرفض رفضا كليا الفهم العرقي للعروبة. ويفصل بينها وبين العلاقات الأسرية والعائلية. في تناوله لرابطة العروبة وفي الرد على التساؤل حول عروبة مصر، أكد أن: "...لا مبرر للتساؤل فيما اذا كانوا "عربا جنسا ودما". لأن من الحقائق الثابتة علميا انه لا يوجد على الأرض أمة: ينحدر جميع افرادها من أصل واحد، ويتحدون بالدم. لا الفرنسيون فرنسيين دما، و لا الترك اتراكاً عرقاً، و لا الروس روسا بالنسب. فلا وجه للتساؤل فيما اذا كان المصريون كعربا جنسا ودما" ([٤]). ويربط الحصري الأمة أي القومية اي العروبة باللسان باللغة. يقول في تعريفه للبلاد العربية "...ان جميع البلاد التي يتكلم سكانها باللغة العربية هي عربية...مهما تعددت الدول التي تحكمها. ومهما تنوعت الأعلام التي ترفرف على بناياتها الحكومية. ومهما تعرضت وتشابكت الحدود التي تفصل بين اقسامها السياسية.. انها بلاد عربية.. و"بلاد العرب ليست الجزيرة العربية وحدها، كما يزعم البعض، ولكنها جميع البلاد التي يتكلم اهلها باللغة العربية.. من جبال زاغرة في الشرق، الى المحيط الأطلسي في الغرب، ومن شواطئ البحر الأبيض وهضبات الأناضول في الشمال، الى المحيط الهندي ومنابع النيل والصحراء الكبرى في الجنوب.. كلها تدخل في نطاق بلاد العرب (...). ان كل من ينتسب الى البلاد العربية ويتكلم اللغة العربية، هو عربي مهما كان اسم الدولة التي يحمل جنسيتها وتابعيتها بصورة رسمية. ومهما كانت الديانة التي يدين بها ، والمذهب الذي ينتمي اليه. ومهما كان أصله ونسبه ، وتاريخ حياة أسرته... فهو عربي..". ([٥]) اما التعريف الذي يقدمه الدكتور عصمت سيف الدولة فهو تقديم علميا بعيدا عن المفاهيم العامة والمثالية التي يتغنى بها البعض والتي تفتقد الى الأساس العلمي. فمفهوم العروبة عند سيف الدولة يتنافى مع التعريفات العرقية والشوفينية فالعروبة هي تعبير عن تكوين اجتماعي محدد في الزمان والمكان وهي العرب في المرحلة القومية. ومفهوم القومية عند سيف الدولة هو مفهوم تطوري أي نامي فالعروبة ليست الا مرحلة من مراحل التكوين الاجتماعي تتجاوزها العرب عندما تعجز عن

الايفاء بحاجاتهم المادية والمعنوية. " .. التكوين القومي للمجتمعات (كان) حصيداً نمو واطافة تحققت خلال الحل الجدلي لمشكلات الطور الاجتماعي الذي سبق القوميات. فهو اكثر منه تقدماً. أي فيه من الحريات للانسان اكثر مما كان.. وهو اكثر منه شمولاً فيتضمنه و لا يلغيه ولكن يضيف اليه ويحدده كما يحدد الكل الجزء. فكما أن المجتمع القبلي لم يبلغ الأسرة بل ظلت اسراً وبطوناً وافخاذاً، يقوم الدم فيها رابطة مميزة بين ذوي الدم الواحد، بقيت الأسر في الأمة الواحدة واضيفت اليها الروابط المحلية والاقليمية فيما يتجاوز التمييز العائلي، تمييزاً للخلف المستقر للجماعات القبلية، قرى ومدناً ومناطق واقاليم ، ثم اضيفت اليها الرابطة القومية اضافة كانت حلاً لمشكلات الأسر والأقاليم ذاتها. وتحققت بها للأفراد من الأسر ومن الأقاليم حريات لم تكن لتتحقق لهم بما تهيئه رابطة الدم وحدها أو الروابط المحلية وحده..".

[٦]. فرابط الدم بالنسبة لسيف الدولة من خاصيات العلاقات الأسرية اما ظاهرة الأمة والتي ما يطلق عليها العروبة بالنسبة للجماعة العربية، فهي انتماء اجتماعي تم بعد تفاعل تاريخي بين الانسان والانسان وبين الانسان والأرض . فعصمت سيف الدولة " .. يؤسس نظريته على ان اية تشكيلة اجتماعية او اية وحدة بنائية يتحدد ادائها الوظيفي على اساس من الاشباع الوظيفي للحاجات المختلفة التي يتطلبها البناء ففي الانتقال من الأسرة الى العشيرة الى القبيلة ، الى الأمة ، سنرى ان اية وحدة " بنائية " من تلك الوحدات كانت دوافع نشأتها هي توفير " حاجات " لم يكن ليستطيع البناء السابق اشباعها على هذا القدر والعمق. فالعشيرة تشبع قدراً اكبر من الحاجات عن تلك التي تشبعها الأسرة ، والقبيلة تشبع هي الأخرى قدراً اكبر من تلك التي تشبعها العشائر، وهكذا حتى نصل الى الأمة كوحدة بنائية تشبع قدراً اكبر من الحاجات التي تشبعها القبائل ، وهكذا تمضي صيرورة تطور الوحدات الاجتماعية مدفوعة باشباع اكثر متزايد للحاجات الا انه — وهذا مهم جدا — لا يتوقف بالتطور الاجتماعي عند حدود الأمة بل يسير مع هذا القانون ذاته ليقرر ان التطور الانساني مفتوح في المستقبل البعيد لظهور تشكيلات اجتماعية أكثر رقياً وتطوراً من الأمة ، تساهم في تحقيق اشباع حاجات اكثر تطوراً وهو الظاهرة التي بدأت تتشكل ملامحها الآن متمثلة في ظاهرة التعاون الدولي..."

[٧]. ان نظرية سيف الدولة في العروبة والقومية ترتكز على اساس انسانية، اجتماعية في مواجهة الدعوات العنصرية والشوفينية. وتمكنت من ان تسقط وتتجاوز التعريفات الغربية التي تربط بين العنصر والدم والقومية ويعتبرها دعوات معادية للقومية وبعيدة عن التفسير العلمي،

وأن مضمون الدعوات العنصرية كانت ابعده من توضيح وتبين مفهوم القومية والعلاقات القومية.

ان مجمل المفاهيم التي قدمت داخل الحركة القومية للعروبة وان خلى بعضها من التفسير العلمي في البحث والجهد والتقديم الا أنها تلتقي عند نقطة واحدة وهو رفض العروبة في مفهومها العنصري والشوفيني.

٢٠٠٥ / ٠٦ / ٠١

### هوامش القسم الثاني

[١] عصمت سيف الدولة نظرية الثورة العربية ، الجزء السادس الطبعة الأولى دار المسيرة ١٩٧٩ صفحة ٥٢.

[٢] د عبد الله التميمي الخليج ٢٦ افريل ٢٠٠٤

[٣] تصريح الرئيس جسكار دستان الذي أكد فيه أن هناك نوعين من الفرنسيين فرنسيو الدم وفرنسيو الأرض و قد لاقى هذا التعريف رد فعل قوي من قبل المنظمات الحقوقية والانسانية في فرنسا

[٤] أبو خلدون ساطع الحصري، العروبة أولا مركز دراسات الوحدة العربية، سلسلة التراث القومي، الأعمال القومية لساطع الحصري (٩) طبعة خاصة ببيروت فبراير ١٩٨٥ . نشر هذا الكتاب لأول مرة عام ١٩٥٥ . ص ٧٩.

[٥] نفس المصدر ص ١٣ - ١٤

[٦] نظرية الثورة العربية، عصمت سيف الدولة الجزء الثالث دار المسيرة ١٩٧٩ صفحة ١٤٠

[٧] د صفوة حاتم شرح جدل الانسان لـ دار اللواء الأخلاء الطبعة الأولى ١٩٩٢ . صفحة ٥٣ - ٥٤